

الشيخ عبدالقادر الكيلاني و رسالته "تبيينه النجبي" و رسالته "المختصر في علم الدين"

للسيد ابي بكر المشبلي السندی

ترجمته

هو ابو صالح عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داؤد بن موسى الجون بن عبدالله المحظى بن الحسن المثني، بن الحسن بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم اجمعين . (١)

ولد رحمه الله تعالى سنة سبعين وأربعمائة بكيلان وترعرع بها . ثم رحل الى بغداد شابا ، فسمع بها الحديث من ابي غالب الباقلاني وجعفر السراج وأبي بكر بن سوسن ، وابن بيان ، وأبي طالب بن يوسف ، وابن خشش وأبي الزيني ، وتفقه على القاضي ابي سعد المخرامي وأبي الخطاب الكوذاني وقيل : انه قرأ أيضا على ابن عقيل ، والقاضي ابي الحسين ، وبرع في المذهب والخلاف والأصول ، وغير ذلك من علوم القرآن والسنة وقرأ الأدب على زكريا التبريزي ، وصحب الشيخ حاد الدباس الزاهد ، ودرس بمدرسة شيخه المخرامي ، وأقام بها الى أن مات في سنة احدى وستين

(١) مقدمة الغنية لطالبي طريق الحق ص ٦ -

وخمسمائة ودفن بمدرسته بغداد (١).

كان الشيخ علما من أعلام الاسلام وأتقى الناس في عصره — وسيد أهل الطريقة في وقته ، صاحب الكرامات المعروفة والمقامات النادرة والعلوم الظاهرة والباطنة .

علا صيته في أنحاء البلاد الاسلامية ، فكان يتوفد اليه آلاف من طلاب العلوم الاسلامية ، والشيخ يعلمهم من العلوم الاسلامية ، يريهم ويزكي نفوسهم .

وكان رحمه الله تعالى ماهرا في الفنون المختلفة كال تفسير والحديث والأدب والنحو والصرف والبلاغة والخطابة وغيرها ، وكان معلما ماهرا ، كان يتعلم عنده طلاب الدين من شتى نواحي البلاد وكان يفتى على مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام أحمد حنبل (٢) .

كان الشيخ خطيبا مصقعا . كان يقيم مجالس الوعظ وقت الفراغ فكان يعظ الناس ويهيبهم من الأعمال السيئة ويرغبهم الى الأعمال الحسنة ، كانت مجالس وعظه مثلا لمجامع الناس . فكان يسمعه آلاف من الناس ، وبهذه الخطابة والفصاحة والبلاغة جذب قلوب الناس اليه فصار مرجع الناس ومنبع العلوم الاسلامية . وبذلك انتشر تعاليم الاسلام في أرجاء البلاد على نطاق واسع . واكثر من تلمذ عنده وسمع مواعظه صار مبلغا للاسلام ومبشرا له . وكان (رضي الله تعالى عنه) مع ذلك يرغب في العزلة عن الناس ليعبد الله فكان يعظ ويدرس في النهار ويقضى الليل قياما وقعودا . ولا ينام الا قليلا وبهذا ظهرت على وجهه آثار النور البهي وأنوار الجلال

(١) طبقات العنابلة لابن رجب ج ١ ص ٢٩٠ -

(٢) ابن رجب — طبقات العنابلة — ج ١ ص ٢٩٠ -

الالهى فصار مقبولاً بين الناس وظهرت على يده كرامات كثيرة . و الكتب مملوءة بها .

و جدير بالذكر بأنه كان لا يرغب فى تعظيم نفسه و لم يكن يجب أن يظنوه الناس أكثر مما هو — و هذا هو السبب الرئيسى بأننا لا نجد ذكر حياته بالتفصيل فى كتب التاريخ — و الكتب التى تبحث عن حياته ليس فيها الا ذكر مواعظه أو ذكر بعض كراماته أما أحوال حياته فلا توجد الا نزر قليل .

مع علو درجته فى العلوم الظاهرية ذاع صيته فى عصره و صار رئيس المشايخ فى العلوم الباطنية فكان له طريق خاص لتربية الناس و تزكيتهم . و طريقته المعروفة بالقادرية منتشرة فى البلاد الاسلامية عموماً و بأرض الهند و باكستان خصوصاً .

مؤلفاته :

للشيخ مؤلفات مفيدة قد طبعت منها ثلاثة فقط .

(١) الغنية لطالبي طريق الحق ، قد ترجمت الى الاردوية .

(٢) فتوح الغيب — ترجم الى الاردوية و الانجليزية .

(٣) الفتح الربانى طبع بمصر يشتمل على بعض من مواعظه و خطبه ، كما هو كان دأب الشيوخ فى ذلك العصر ، ان الشيخ لم يكتب مؤلفاته بيده — كما هو ظاهر من الكتب التى دونت عن حياته — بل تلاميذه قد جمعوا بعض ما يههم الشيخ من مسائل الفقه أو ما يلقى عليهم من المواعظ فى خطبه ، و نسبوا هذه التأليف اليها و لا ريب ان للشيخ كانت مؤلفات غير هذه الكتب المذكورة آنفاً .

المخطوطة

و من النوادر التي جمعت في خزانة معهد الدراسات الاسلامية
بكراتشي مخطوطة مصورة قد جلبت من خزانة "فاتيكان" ، روما رقم ١٤٥٨
تشمّل على ١٩ ورقة .

هذه النادرة تحتوي على رسالتين نسبتا الى الشيخ عبدالقادر الكيلاني—
عنوان الرسالة الأولى " تنبيه الغبي في رؤية النبي " — و الرسالة الاخرى
" المختصر في علم الدين " .

اما تنبيه الغبي في رؤية النبي .

فهي رسالة موجزة في فن التفسير و قد جاء المؤلف بأحسن تفسير لسورة
الفاتحة مع ايجاز كامل ، و قد ذكر فيه من المعاني والمطالب التي قلما توجد
في كتب التفسير الضخمة .

مثلا: إنه استدل من " الحمد لله رب العلمين " بأن هذه الآية هداية
واضحة للسلطان ، بأن يتخلق بأخلاق الله في امور الدولة و لا يفرق بين
احد من رعاياه ، كما ان الله تعالى يرزق من يشاء و لا يفرق بين مسلم
و يهودى و مؤمن و كافر — كل الناس في هذا الميدان سواء عنده و عليه
ذمة الرزق أيضا — و استدل من آثار الصحابة قائلا:

" كما فعل عمر رضى الله عنه في خلافته ، بالشيب المجوسى الذى
(كان) يسأل الناس فقال : أخذنا في حال شبابك الخراج منك
و الآن عجزت الكسب فلازم علينا أن نعين لك شيئا من
بيت المال فعين له منه مقدار قوته " .

وقال في مقام آخر:

” وكل عادل فهو مهدي زمانه وكل جابر فهو دجال زمانه“.

وبهذا قد أعطى المسلمين فكرة جديدة عن المهدي و الدجال فانهم يعتقدون بأن المهدي و الدجال شخصان مختصان بالوقت المعين و العهد الخاص، و أما ما يعتقد صاحب هذا التفسير فهو ان كلمتي ” مهدي و دجال “ لا يختصان بشخص او بازمان بل انما السلطان العادل هو ” مهدي وقته . و الحاكم الجابر هو دجال عهده “ .

رسالة تبيينه الغيبي في رؤية النبي (الورقة ١ ظ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

” الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد و اياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم و لا الضالين . “ آمين .

عن النبي ﷺ ، أنه قال : قال الله تعالى : قسمت فاتحة الكتاب أثلاثا : ثلث لعبدى . و ثلث بينى و بين عبدى . لعبدى ما سأل الحديث (١) فما كان لله فمن أولها الى ” مالك يوم الدين “ . و ما كان للعبد فهو ، ” اياك نعبد و اياك نستعين “ . و ما هو بين الله و بين العبد فمن ” اهدنا الصراط “ الى آخره . اعلموا ان الفاتحة سلطان جميع السور و لهذا قدمت

(١) رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث موجود في صحاح المصاييح - و بحواله لعسير مدارك التنزيل و حقائق التاويل لابي البركات عبدالله ابن احمد بن محمد النسفى - ج ١ ص ١ -

جميعها و مع تقدمها على جميع السور تأخرت عن جميعها فكانت مفتوح
كتاب الله و منتهاه ، كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة . و تكل الطرف
من ألم . و ينبغي أن يكون السلطان هكذا . للخلق ليعم نفعه لهم —
تقرأ أيضا في جميع ركعات الصلاة و بها تتم الدعوات . فواجب على كل
سلطان أن يكون متحققا بها أو متخلقا أو متعلقا و لا يكون رابعا ، فالتحقق
أن يكون كصهيب رضى الله عنه ، حيث قال في حقه . رسول الله ﷺ :
” نعم الرجل صهيب : لو لم يخف الله لم يعصه “ . يعنى فكيف اذا
خاف . و التخلق أن يكون عالما عاملا ذا ورع . و التعلق ان كان أميا
أن يتشبث بأذيال العلماء العاملين الورعين . فهذا هو العدل — و رابع هذه
الثلاث ظلم — و بقدر العدل يعمر الدين و الدنيا ، و بقدر الظلم يهدم
الدين و الدنيا .

و كل عادل (١) فهو مهدي زمانه ، و كل جابر فهو دجال زمانه .
معنى الظلم ظلم بظلمته بالكسر ظلما و مظلمة بكسر اللام ، و أصل الظلم
وضع الشيء في غير موضعه . و يقال من أشبه آياه فما ظلم و في المثل ، من
استرعى الذئب فقد ظلم . كذا في المختار الصحاح . و السلطان ان اراد
أن يكون محمودا عند الله و عند الناس . فليلزم العدل و الانصاف .

و التخلق بأخلاق الله الأربعة في الفاتحة . أولها أن يكون رب العالمين
الذين تمت حكمه يعنى يطعم الجائع و يروى العطشان و يكسى العارى
و يسكن الغريب . كما فعل عمر رضى الله عنه في خلافته بالشيب
المجوسى الذى يسأل الناس . فقال : أخذنا في حال شبابك الخراج منك

(٢) المخطوطة : عال

و الآن عجزت الكسب فلازم علينا ان نعين لك شيئا من بيت المال ، فعين له منه مقدار قوته .

و ثانيها رحمانا لجميع عباد الله في دنياهم حافظا أنفسهم و أموالهم و عرضهم .

و ثالثها رحيا للمؤمنين في أمور آخرتهم كبناء المكتب و المدرسة و المسجد (١) و الجامع و الصومعة و كل شئ يلزم للاخرة و رابعها أن يكون مالك يوم الدين و هو الجزاء لاعمال الخلق خيرا و شرا . فيوم الدين يوم الدعوى بين الاثنين فيحكم بينهما بالعدل بمقتضى الشرع . فسلطان هذا خلقه يستعبد له جميع الخلق بالطوع و الاقبال و يكون هو المحمود لا المسمى باسم المحمود و في المثل الانسان عبيد الاحسان . و قوله تعالى : ” اهدنا الصراط المستقيم ” الآية . تعليم للمؤمنين بأنهم لا يسألون الا خلاصة المسائل و هى الهداية الى الصراط المستقيم الذى أنعم على الأنبياء و الأولياء و الصالحين ، فان للصراط الأول يهتدى اليه المؤمنون المخلصون و المرأون و المنافقون المغضوب عليهم و الضالون . مثلا الصلوة صراط مستقيم ، فاذا خلط فيها الرياء و النفاق لا يكون مستقيما ، وكذا سائر العبادات حتى أن الغزوة طريق مستقيم ، فاذا فر من الصف عند القتال و لا يمد الى الذين قاتلوا مع الكفار و هو يقدر على ذلك فطريق الغزاة ليس بمستقيم له فكيف اذا غار أموال القاتلين وقت قتالهم مع الكفار ، فمثل هولاء العسكر هو جند الشيطان و جند الدجال ، و الصراط الثانى هو الذى لا يهتدى اليه الا خلاصة عبدة الله ، و هم الأنبياء و الاولياء و الصالحون المخلصون فينبغى لكل مؤمن أن لا يسأل من الله الا الهداية الى هذا الصراط المستقيم . الذى وعده لهم

(١) فى المخطوطة : المجد

بقوله تعالى " و لعبدى ما سأل " فقراءة أحد الفاتحة هكذا مرة واحدة في جميع عمره خير له من قراءته بلسانه كل يوم الف مرة له كرارا في جميع أحواله ليحصل له مرة واحدة في عمره هكذا يسر الله لنا و لجميع المؤمنين و المؤمنات آمين .

يا مجيب السائلين و يا أرحم الراحمين

رسالة "المختصر في علم الدين"

هذه رسالة ثانية تحتوى على فنين — الفن الاول في علم الشريعة و الفن الثانى فى علم الطريقة — و بدأ المؤلف الكتاب بالحمد و الصلوة . و تبتدىء الرسالة بالكلمات التالية (١): —

" و بعد فان الشيخ عبدالقادر الكيلانى كرمه الله الغنى كتب هذا المختصر فى علم الدين ليفيد للعابدين و السالكين و جعله مشتملا على فنين ليكون من عمل به ذى الجناحين و الله الهادى الى سبيل السداد و اليه المرجع و المعاد — "

ثم ذكر الفن الاول فى علم الشريعة المشتمل على سبعة أبواب الباب الاول فى الايمان و الاسلام — الباب الثانى فى الورع و التقوى الباب الثالث فى الصلوة — الباب الرابع فى الزكوة — الباب الخامس فى الصوم — الباب السادس فى الصحيح — الباب السابع فى الأضحية و قد ذكر المصنف فى

(١) انظر الورقة الثانية - ظ -

تلك الابواب المسائل المتعلقة بغاويتها و استدل بالقرآن و الأحاديث النبوية على صاحبها الصلوات و صلواته .

و الفن الثاني في علم الطريقة فقد بحث فيه عن مسائل التصوف بالاجاز كما جاء بذكر تركية النفس و اخلاص النية و فضائل الصمت و فضائل الجوع و فضائل السهر و غيرها .

و قد رتب بابا مستقلا في نهاية الرسالة في الرؤيا و تعبيره ما يدل على تعلقه بهذا الفن أيضا .

مختصاتها :

(١) ان هذه الرسالة مختصرة و جيزة تشمل على أهم مسائل الفقه فالتقوى يقدر ان يعرف المسائل الضرورية عن أركان الاسلام في وقت قليل إذا استعصت عليه عن كتب الفقه الضخمة .

(٢) انه جمع في رسالة واحدة مسائل علمي الشريعة و الطريقة باختصار كي يعرف القارئ بأن الشريعة و الطريقة هما شيء واحد لا فرق بينهما . بل للشيخ يعتقد ، ان الطريقة هي لب الحياة ، مقصود كل انسان ، و الشريعة هي قشر حلف للظواهر و الصور (١) .

(٣) و لقد ذكر في بيان الايمان — ان الايمان على ثلاثة أقسام — الاول تحقيقي — و هو يحصل بتزول احوال الوجودية على منصفات القلب و هو أفضل الايمان عنده — و الثاني استدلالى و هو ان يؤمن الرجل بالدليل و البرهان — هذا أيضا أفضل و لكن في الدرجة الثانية ، و الثالث تقليدى —

(١) انظر الورقة ١٢ - ظ -

وهو أن يعتقد الرجل تقليدا لآبائه واحترافا بقول الآباء بلا برهان - وهذا
أضعف درجات الايمان (١) .

قد ثبت بذلك أن الدليل والبرهان للايمان لا بد منهما عند الشيخ ،
إلا أنه ألقى الرب في قلبه الايمان - وما دون ذلك فيجب عليه أن يعتقد
بالدليل والبرهان ومن لم يؤمن بالدليل بل آمن تقليدا لآبائه فهو ضعيف
في الاعتقاد ولا اعتبار لايمانه .

(٤) وبما يظهر من الرسالة أنه كان يقلد الامام أبا حنيفة في بعض
المسائل و احيانا يخالف الامام أحمد بن حنبل و الامام الشافعي في مسألة
الأضحية يقول : وهي الأضحية واجبة على من يجب عليه صدقة الفطر
مع شرط الإقامة وقد ذكر الدلائل في تائيده ، ثم قال هذا عند أبي حنيفة
رحمه الله و أما عندهما وعند الشافعي فهي سنة فتستدل من العبارة أنه لم
يكن مقلدا جامدا كان مطلعا على الاقوال المختلفة للأئمة الكبار في المسائل
القضية فكان يفتي على فقه واحد ، بل رأى في المسألة بما يكون أقرب الى
الكتاب والسنة و أقوال التابعين و المجتهدين من غير تعصب لمذهب بعينه .

(٥) وقد ذكر أن الأضحية هي سنة عندهما وعند الشافعي ثم ذكر :
أن أبا بكر و عمر رضي الله تعالى عنهما ، كانا لا يضحيان مخافة أن يراها
الناس واجبة .

وهذه المسألة من أهم المسائل في زماننا ، فقد صادفنا ان المسلمون
يضحون يوم النحر بمكة المكرمة نفسها مئات بل مئات ألوف الضحايا و البدن
ولا يحتاجون الى لحومها ، فهذه اللحوم تضيع و تفسد ، و تصير للحكومة

مشكلة عظيمة من أجل انتشار التتن الذي هو مفسدة للصحة فعلينا أن نصون
لحومها في التلجات او في المصانع المستعدة لهذا الغرض أو علينا أن نكف
من التضحية بهذا العدد الكثير مستدلين بعمل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما،
فله دره !

(٦) وقد جاء الشيخ في الفن الثاني من هذا الكتاب من أقوال وحكم
ما ينور قلوب الناس ويزكي نفوسهم . و ذكر فيه أحاديث النبي ﷺ ،
و أقوال الصالحين و حكمهم فمن يريد أن يحصل حظا منها فليراجع
نص الكتاب . رسالة المختصر في علم الدين

